﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: 34]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا ذكر الله تعالى إنعامَهُ على آدمَ عليه السلام بتفضيلِهِ بالعِلْمِ؛ ذَكَرَ إنعامَهُ عليه بإسجاد الملائكةِ لَهُ[1].

قال أبو حيّان الغرناطي: "ومُناسَبَةُ هَذِهِ الآيَةِ لِما[2] قَبْلَها أنَّ اللَّهَ تَعالى لَمّا شَرَّفَ آدَمَ بِفَضِيلَةِ العِلْمِ، وجَعَلَهُ مُعَلِّمًا لِلْمَلائِكَةِ وهم مُسْتَفِيدُونَ مِنهُ مَعَ قَوْلِهِم السّابِقِ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: 30]، أرادَ اللَّهُ أنْ يُكَرِّمَ هَذا الَّذِي اسْتَخْلَفَهُ بِأنْ يُسْجِدَ لَهُ مَلائِكَتَهُ، لِيُظْهِرَ بِذَلِكَ مَزِيَّةَ العِلْمِ عَلى مَزِيَّةِ العِبادَةِ".

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿ٱسْجُدُواْ﴾: فِعْلُ أمرٍ من (سَجَدَ) مُسندًا إلى واو الجماعة، والسِّينُ والجيمُ والدَّالُ تدُلُّ اشتقاقاتُها على الذُّلِّ والتَّطامُنِ أي: الانْخِفَاضِ[3]، يقال: سجدتِ الدَّابَةُ؛ إذا خفضت رأسَها لتُرْكَبَ[4].

ومِنْهُ السُّجودُ؛ وهو وضعُ الجبهةِ على الأرضِ[5]، وبمعنى الانحنَاء أيضًا[6]

وأمَّا سجودُ الملائكة لآدم عليه السلام؛ فاختُلِفَ في حقيقتِهِ: أكان انحناءً، أو بوضع الجبهة على الأرض، معَ اتِّفاق أهل العلم على أنَّ سجودَ الملائكةِ لآدَمَ عليه السلام لَم يَكُنْ عِبَادةً له، وإنَّما كان تَحِيَّةً أو احترامًا لَهُ عليه السلام، طاعةً لله تعالى[7].

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 1/254.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/414.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سجد).
(4) الأنباريّ، الزَّاهر: 1/47.
(5) ابن سِيده، المخصَّص: 4/57.
(6) ابن القطَّاع، كتاب الأفعال: 2/125.
(7) ابن جرير، جامع البيان: 1/512، والواحديّ، التَّفسير البسيط: 2/364، 366.

2) ﴿أَبَىٰ﴾: الهَمْزَةُ والبَاء واليَاء تدلُّ على الامتناعِ[1]، والإباء: أشدُّ الامتناعِ[2].

3) ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾: الكاف والباء والرَّاء تدلُّ تصاريفُها على ضدِّ الصِّغَرِ، ومِنْهُ: الكِبَرُ؛ وهو الهرَمُ، والكِبْرِياء؛ وهي: العظمة[3].

وَالكِبْرُ: هو التَّرفُّعُ عن الإقرار بالحقِّ، والطُّغيانُ في دفعه، واحتقارُ النَّاسُ والإزراءُ بِهِمْ[4]، وهذا المفهوم عبَّر عَنْهُ رسُولُ الله ﷺ بأَوْجَزِ عبارةٍ وأبلغِها؛ فَقَالَ: "الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاس"[5].

والسِّينُ والتَّاء في (استكبر) تدلُّ على القوَّةِ لا الطَّلبِ، فمعنى (استكبرَ): قَوِيَ كِبْرُهُ[6].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

تَحدَّثتِ الآيَةُ عن أمرِ الله تَعالَى الملائكَةَ بأنْ يَسجُدُوا لِآدَمَ عليه السلام، إكرامًا لَهُ وتحيَّةً، فسجدوا مسارعين لامتثال أمر الله ﷻ، إلَّا إبليسَ فقَدِ امْتَنَعَ أشدَّ الامتناعِ عَنِ السُّجودِ، اعتراضًا على أمر الله تعالى له، وتكَبُّرًا على آدم عليه السلام، فصار مِنَ الكافِرِينَ باللّٰه تعالى[7].

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

فائِدَةُ عَطْفِ القِصَّةِ عَلَى القِصَّةِ:

بيانُ موقفِ الملائكةِ وإبليس من السُّجودِ؛ للحذرِ من جهةٍ، والأمنِ من الثَّانية

نوعُ الواوِ في قولِ اللّٰهِ تعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾ العَطْفُ، والقولُ معطوفٌ على قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، وهو من باب عَطْفِ القصَّةِ على القصَّة[8]؛ لاشتراكهما في ذِكْرِ قِيلِ اللّٰهِ سبحانه لِلْمَلائكة، وذِكْرِ نِعَمِ اللّٰه ﷻ على آدَمَ عليه السلام؛ بِغَرَضِ اسْتِكمَالِ الغَايَةِ من ذِكْرِ القِصَّةِ، وبيانِ موقف

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أبي).
(2) ابن الأثير، النِّهاية: (أبو).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كبر).
(4) ابن الجوزيّ، كشف المشكل من حديث الصَّحيحين: 3/323.
(5) رواه مسلم، حديث رقم: (91).
(6) الحمَلاوِيّ، شذا العَرْف في فنِّ الصَّرف، ص: 35.
(7) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن: 1/84، .85، والسعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 48، ونخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 6.
(8) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/420.

الملائكةِ في السُّجودِ، بعدَ قِيلِهم، وموقفِ إبليس بعدَ سُكوتِه؛ ليحصُلَ الحَذَرُ من جِهةٍ، ويتحقَّقَ الأمنُ من الثَّانية.

تَكْرَارُ الظَّرْفِ (إِذْ) لبيانِ نِعَمِ اللهِ تعالى على آدَمَ عليه السلام:

كُرِّرَ الظَّرْفُ (إذْ) بعد الواوِ المُغْنِيَةِ عن إعادتِهِ؛ لِلْإِعْلَامِ بأنَّ جملة ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾ مستقلَّةٌ بذاتِهَا، مقصودةٌ بالأصالَةِ؛ إيذانًا بأَنَّ المذكور في حيِّزِهَا نعمةٌ جليلةٌ حقيقةٌ بالذِّكرِ على وجهِ الاستقلال[1].

نكتَةُ الِالتِفَاتِ مِنَ الغَيْبَةِ إِلَى التَّكَلُّمِ:

إِظْهَارُ جَلَالِ اللهِ تعالَى وإِدْخَالُ هَيْبَتِهِ فِي نُفُوسِ المُتَلَقِّين

وقَعَ التِفَاتٌ في قوله سبحانه: ﴿قُلْنَا﴾ من الغَيْبَةِ في قولِه تعالَى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل﴾ إلى التَّكلُّم؛ والنُّكْتَةُ في ذلك: إظهارُ الجلالَةِ وزيادةُ المَهابَةِ، لاسيَّما أنَّ التَّكلُّمَ وردَ بصيغةِ الجمعِ الدَّالَّةِ على التَّعظيم، وتأكيدُ استقلالِ هذه الجملةِ عمَّا قبلَهَا؛ لتغايُرِ أسلوبِهِمَا[2].

التَّعظيمُ ذاتيٌّ، ويكْتَسِب المُعظَّمون شرفًا لا يُدانَى، ومكانةً لا تتَدانى:

أفادَتِ النُّونُ في قولِه سبحانه: ﴿قُلْنَا﴾ التَّعظيمَ؛ إذِ السُّجودُ لِلتَّعظيم، فلمَّا أمر به لغيرِهِ؛ أشار إلى كِبْرِيائِه وعظَمَتِه في ذاتِه[3]، ولا تَتَوَقَّف عظَمَتُهُ سبحانه على تعظيمِ المعظِّمينَ، إذِ العَظَمَةُ ثابتَةٌ له على الدَّوام، وإنَّما يكْتَسِبُ المُعظِّمون لِكبريائِه بذلِك شرفًا لا يُدانَى، ومكانةً لا تتَدانى.

نُكْتَةُ الإِظْهَارِ فِي مَوْضِعِ الإِضْمَارِ:

صِيانَةُ احتِمالِ الـتَّـوهـمِ في التَّقليلِ من شأنِ الملائِكَةِ

أُظهِرَ اسْمُ الملائكَةِ في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾ ومقتضى الظَّاهِرِ الإضمار[4]، أي: (وإذ قلنا لهم)؛ وذلك لتقدُّم ذِكْرِهم، ونُكتَةُ الإظهار: الاحترازُ عن توهُّمِ التَّقليلِ من شَأْنِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/87.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/87.
(3) الخفاجيّ، عناية القاضي: 2/129.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/87.

الملائِكَةِ؛ فإنَّ إظهارَ الاسمِ تابعٌ لإظهارِ المعنى، لاسيَّما أنّ الملائكَةَ قد صَدَرَتْ عنهم تلك الأَسْئِلةُ؛ فقد يخطُر ببالِ المتلقِّي شيءٌ من وَسَاوِس الشَّيطان في التَّقليلِ من شَأنِهم، فكان الإظْهارُ دافعًا لمثلِ هذا التَّوهُّمِ، وهذا من بليغِ أغراضِ إظهارِ ما حقُّه الإضمارُ في القرآنِ الكريمِ.

دلالة الفَاءِ في قَوْلِهِ: ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾:

سُرْعَةُ امْتِثَالِ أَمْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَتعليمُ المُبَادَرَةِ لأَدَاءِ حَـقِّ المُعَلِّمِ

الفاء في قوله: ﴿ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾ عاطِفَةٌ على ﴿قُلْنَا﴾، والفاء تدلُّ على التَّرتيب والتَّعقيب؛ ففي قوله: ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ إشارةٌ إلى مسارعةِ الملائكة إلى امتثال أمر الله تعالى لَهُمْ بالسُّجود، وفِيهِ تعليمُهم المبادَرَةَ لأَدَاءِ حقِّ آدمَ عليه السلام؛ إذْ علَّمهم ما لَمْ يَعْلَمُوا[1].

توجيهُ المُتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ:

سُـمُـوُّ البَـيَـانِ القُرْآنِيّ وَجَمالُهُ في التَّعْبِيرِ عن كُـلِّ موضِعٍ بما يُنَاسِبُه

ورد هنا ﴿ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾، وفي سورة الحِجْرِ: ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: 29-30]، فوقع الخلافُ بَيْنَهُمَا مِن ثلاثَةِ أوجهٍ[2]:

الوجه الأوَّل: في "البقرة" أمرٌ صريحٌ بالسُّجود، وفي "الحِجْرِ": أمرٌ بالوقوع ساجدينَ.

الوجه الثَّاني: في "البقرة" إضمارٌ لِلْمَلائكةِ، وفي "الحِجْرِ" إظهارٌ لاسمهم الصَّريحِ.

الوجه الثَّالث: في "الحِجْرِ" أُكِّدَ الفاعلُ ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بقوله: ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾، وخلا ذلكَ مِنَ "البقرة".

وموجِبُ التَّفريقِ: أنَّ آية البقرة تقدَّمها ذِكْرُ تفضيلِ آدمَ عليه السلام على الملائكة، وتَسْلِيمِهم بهذا التَّفضيل، فكان المناسبُ الاكتفاءَ بالأمر بالسُّجودِ.

(1) الخفاجيّ، عناية القاضي: 2/129.

(2) سعد عبد العظيم محمَّد، استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات، ص: 87.

ووقَعَ ذِكْرُ الملائكة مضمرًا؛ لتقدُّم ذِكْرِهم قريبًا جدًّا، فناسبَ ذلك الإتيانُ بالضَّمير الرَّاجع إليْهِمُ اختصارًا، لا سيَّما وقد تكرَّر ذكرُهم قبلَ الإضمارِ ثلاثَ مرَّاتٍ بالاسمِ الصَّريح.

وأمَّا آية سورة الحِجر؛ فتقدَّمها قولُ الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: 28-29]، وذِكْرُ الحمَأِ المَسْنُونِ فيهَا قد يوجبُ شيئًا مِنَ النُّفْرةِ بسبب تغيُّر الرَّائحةِ، فكان الأنسبُ المبالغةَ في الأمر بالسُّجود؛ فقال سُبحانه: ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: 29].

ولمَّا كان ذكرُ الملائكةِ بالاسْمِ الظَّاهر غيرَ قريبٍ؛ نُصَّ عَلَيْهِ بالاسْمِ الظَّاهر لبُعْدِ العهدِ. وجاء تأكيدُ المسنَد إلَيْهِ ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾؛ لأنَّه تقدَّمه مبالغةٌ في الأمر؛ فناسبَهُ المبالغةُ في بيان امتثالِه.

تحديدُ نوعِ الاسْتِثْنَاءِ بالسِّياقِ:

إلحاقُ إبْليس بالمَلائكةِ يعطيه حكمَهم في السُّجود لا جنسَهم

الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ استثناء منقطعٌ على الصَّحيح؛ لأنَّ إبليس ليس مِنَ الملائكةِ، بدليل قول الله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف: 50]؛ ولأنَّه مخلوقٌ من نارٍ والملائكةَ مخلوقون من نُورٍ.

وأمَّا دخولُهُ في الأمر[1]؛ فلأنَّه لَمَّا كان يعمل بعمل الملائكةِ في الظَّاهر؛ كان الأمر شاملًا له؛ فهو ملحَقٌ بهم في الأمرِ، وهو مأمورٌ بالسُّجود لآدمَ قطعًا، بدليل قولِ الله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: 12]، وإلحاقُه بهم هو في الأمرِ لا في الجِنسِ.

سِرُّ تَقْدِيمِ الإِبَاءِ عَلَى الاسْتِكْبَارِ:

المذكُورُ يُغني عن المحذوفِ، وذِكرُ غيرِ اللَّازم لازمٌ ضرورةً

قُدِّم الإباءُ على الاسْتِكبارِ، مع أنَّ الإباءَ متأخِّرٌ عَنْهُ؛ إذْ يقع الاسْتِكبار في النَّفس ثُمَّ يترتَّب عَلَيْهِ الإباءُ في الفعلِ؛ وذلك لأنَّ الإباء مِنَ الأحوالِ الظَّاهرةِ، بخلاف الاستكبار فَهُوَ أمرٌ خفيٌّ؛ لكونه

(1) ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة: 1/127.

مِنَ الأمورِ النَّفسانيَّةِ[1]، وبيانُ ذلك: أنَّ التَّرتيبَ حَصَلَ كالآتي: استكْبَرَ فأَبى، وأصَرَّ على استكبارِهِ؛ ذلك أنَّه لـمَّا كان الاستكبارُ باطنًا لم يُذكرِ ابتداءً؛ لدلالة الإباءِ عليه، ثمَّ عَطَفَ الاستكبارَ على الإباءِ؛ لبيانِ إصرارِه عليه؛ فليس بالضَّرورةِ أن يُصِرَّ كلُّ آبٍ على استكبارِه، فحُذِف الاستكبارُ ابتداءً لدلالة الإباءِ عليه، ثمَّ ذكر الإصرارُ على الاستكبارِ؛ لأنَّه ليس لازمًا بالضَّرورةِ.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإِبَاءُ وَالِامْتِنَاعُ:

بَيْنَ الإباء والامتناعِ: عمومٌ وخصوص مُطلَق؛ فكل إباءٍ امتناعٌ، وليس كلُّ امتناعٍ إباءً؛ وذلك أَنَّ الإباء: شدَّةُ الامتناعِ[2].

وَلِلْبِقاعِيِّ توجيهٌ، وهو أنَّ الإباءَ امتناعٌ عمَّا حقُّه الإجابةُ فيهِ[3]، وهو كسابقِهِ مُؤدَّاهُ أنَّه أعمُّ مِنَ الامتناعِ مطلقًا.

ولِلشِّهَابِ الخفَاجِيِّ توجيهٌ آخَرُ، وهو عمومُ الامتنَاعِ بوجهٍ آخرَ؛ وهو أنَّ الإباءَ امتناعٌ مِنَ الفعلِ مع التَّمكُّن مِنْ أدائِه، فالإباء أبلغُ مِنَ الامتناعِ[4].

والأشهَرُ هُوَ الأوَّلُ، ويُمْكِنُ ردُّ القولين الآخرَيْنِ إِلَيْهِ؛ فإنَّ الامتناعَ مِنْ فعلٍ مَا مع التَّمكُّنِ من أدائِه؛ مُشْعِرٌ بِضَرْبٍ مِنَ الإِعْرَاضِ؛ وهذا مُقْتضٍ لشدَّةٍ في ذلك الامتناعِ، ومِثْلُهُ: الِامْتِنَاعُ عمَّا حقُّهُ أَنْ يُجابَ.

(1) الخفاجيّ، عناية القاضي: 2/131.
(2) الرّاغب، المفردات، ص: 58.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 1/256.
(4) الخفاجيّ، عناية القاضي: 2/131.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»